المحاضرة الأولى:

أصول النقد المعاصر

أصبح الحديث عن النقد المعاصر من أهم المواضيع التي تلفت انتباه الباحثين في مجال الدراسات الأدبية والنقدية؛ على اعتبار أن الإبداع الأدبي هو موضوع النقد عامة ، حيث يسهم النقد في فهم وتحليل الإبداع الأدبي وتفسيره. فهو يعنى بتناول النصوص الأدبية من زوايا متعددة للكشف عن الأساليب الأدبية والبحث في الدلالات الخفية.

والمتتبع لسيرورة تطور المناهج النقدية المعاصرة يجد أن الأخيرة في ردة دائمة ومستمرة تغذيها تراكمات ثقافية، وتيارات فكرية مختلفة أفرزت عدة نظريات ومناهج متنوعة "اتخذت مسارين في توجهها حيث قسمها الباحثون -من خلال تعاملها مع العمل الأدبي- إلى قسمين: مناهج سياقية وأخرى نسقية؛ وقبل التطرق إلى الفروقات بين المسارين يجدر بنا أولا التعرف على بعض المصطلحات المرتبطة بالنقد المعاصر.

1- مفهوم النقد الأدبي:

يعرف النقد على أنه نوع من التذوق والإدراك الدقيق للعمل الأدبي، حيث يُسلط الضوء على الجانب الخفي في النصوص، ومن ثم يُقيم النص بناء على ملاحظات خاصة وفلسفة مبنية على اتجاه فكري معين . ولا يعتمد النقد الأدبي على النصوص الأدبية فقط، بل يتكامل مع معارف من مجالات أخرى، مثل علم الاجتماع، والفلسفة، وعلم النفس، وعلم الجمال، العلوم الإنسانية...

وبمعنى أكثر تفصيلا يتأسس النقد الأدبي استنادا إلى مناهجه عبر "عملية وصفية تبدأ من عملية الإبداع مباشرة، وتستهدف قراءة الأثر الأدبي ومقاربته قصد تبيان مواطن الجودة والرداءة. ويسمى الذي يمارس وظيفة مدرسة الإبداع ومحاكمته الناقد، لأنه يكشف ما هو صحيح وأصيل في النص الأدبي، ويميزه عما هو زائف ومصطنع"

2- مفهوم المنهج:

المنهج لغة: هو الطريقة التي يسلكها المرء بغية الوصول إلى غاية معينة، وهو السبيل الذي يتدرج عبره للوصول إلى الهدف والبغية. أما اصطلاحا فيرتبط المنهج يرتبط بالطريقة العلمية- العقلية التي يسلكها الدارس أثناء تحليل ظاهرة أو مجتمع أو نص.

والمنهج في النقد الأدبي وليد مرحلة الحداثة التي أصرت على التفسير العلمي لكل الظواهر بما فيها الظاهرة الأدبية؛ إنه مجموعة الإجراءات والآليات التي تحاول تفهم النص الأدبي ومكوناته باتباع مجموعة من الخطوات الموضوعية التي تختلف باختلاف المناهج.

3- مفهوم الحداثة:

الحداثة لغويا في المعجم العربي من " الحديث نقيض القديم، والحُدوث: نقيض القُدمة. حدَث الشيءُ حدوثًا وحداثةً وأحدَثَه فهو مُحدثٌ وحديث وكذلك استحداثه" (لسان العرب ابن منظور) و" شاب حَدَثُ السن. والحديث الجديد من الأشياء" (التهذيب الأزهري).؛ والملاحظ من هذا التحديد المعجمي ارتباط الحداثة بالجدة المناقضة للقدم.

أما اصطلاحا فيقترن مفهوم الحداثة بفعل الردة (الحداثة ردة متحولة)، والتفلت من السائد والتمرد الدائم على كل ما هو آني؛ لأنها ذلك السؤال المتجدد في كل حين، الذي يرفض الانصياع والخضوع لأي جواب، فهو -دائما- مهاجر لا يكاد يحط الرحال بمكان حتى ينتقل إلى غيره في رحلة دائمة، فهو فلوت يأبى أن يمسك به، لأن في إمساكه قتلا له وقضاء على حريته، هو الحاضر/ الغائب".

4- المقاربة السياقية:

هي مقاربة يحتل فيها السياق مكانة مهمة، فالسياق هو الذي يحال إليه المتلقي كي يتمكن من إدراك مادة القول؛ ومن هذا المنطلق تصبح معرفة السياق ضرورية لتذوق النص وتفسيره؛ وبمعنى آخر هي مقاربة تعتمد الإسقاطات السياقية والأحكام التذوقية والملابسات الخارجية في تحديد مقاصد النص ودلالاته"

فتربط المناهج السياقية الأدب دائما بخارجه مكرسة منطق المنفعة الأدبية على حساب مبدأ الجمال؛ لأن النص لا يُعتبر وحدة معزولة عن العالم الخارجي، بل يجب أن يُنقد في سياق متصل بالأحوال النفسية، الظواهر الاجتماعية، والأحداث التاريخية التي تحيط به؛ معنى ذلك أن عملية نقد النص لا تقتصر على التذوق أو التحليل الأدبي البحت، بل تتطلب فهم النص في ضوء العوامل الخارجية التي أثرت في تشكيله منذ لحظة إبداعه وحتى تلقيه من قبل الجمهور.

5- المقاربة النسقية (النصانية):

تشتغل المقاربة النسقية على النص الأدبي من الداخل، بمعزل عن العوامل الخارجية مثل سيرة الكاتب أو السياق التاريخي أو الاجتماعي. فالهدف منها هو كشف الأبنية النصية الداخلية، أي الأنماط والأنساق التي يشيدها النص وكيفية قيامها بوظائفها داخل النص ذاته. هذه الأنساق تشمل العناصر اللغوية، الأسلوبية، والبنائية التي تشكل بنية النص وتجعله يحمل طابع الأدب.